

هل استلهم المسرحيون العرب نساء إدوارد ألبى الثلاث

ست مسرحيات عربية عن المرأة اجتمعت في كل منها ثلاث نساء مقهورات

قهر المرأة العربية وسط مجتمع ذكوري، كان ولا يزال من الثيمات المسرحية التي اشتغل عليها العديد من المؤلفين والمخرجين العرب، نتيجة كونه موضوعاً حارقاً، لم تنجل أسبابه بعد. هنا قراءة في ست مسرحيات عربية لمخرجين ومخرجات اشتغلوا على قهر المرأة بشكل يكاد يكون تناساً مسرحياً كاملاً.



عواد ألبى
كاتب عراقي

ثلاث نساء هاربات من جحيم الطغيان والبطش في بلدن إلى عالم الحرية في الغرب، فيجمعهن ملجأ صغير بألمانيا بانتظار انتهاء التحقيق معهن، وقبولهن لاجئاً في ذلك البلد.

الأولى فتاة مسرحية عراقية تعرّضت للملاحقة والاضطهاد والافتقار من مسرحها وجمهورها، والثانية فتاة بوسنية ذات معاناة مركبة من الغربة والاقتلاع من الوطن، وغدر مواطنها اللاجئ البوسني الذي أقام معها علاقة جنسية عابرة، وعنف جنود الاحتلال الذين جرّوها إلى الشارع، وعزوها أمام والدها وسحقوا أنوثتها تاركين وربما في ثديها، فلاجت إلى التعبد والصلوات للتخفيف عن ربها وترقيتها وانكسارها النفسي.

والثالثة امرأة جزائرية تعرّضت للتعسف والمضايقات والتحقيق في بلادها، ونبحوا زوجها، وقطعوه في الشارع لأنه كان نزيهاً ووقف ضد الظلم، فقررت أن تتمرّد على مجتمع يجيز ذبح الإنسان، وتكفر بأعرافه وقيمه ومحرماته الأخلاقية والاجتماعية بممارسة الجنس اعتقاداً منها بأنها دلالة على التحرر والانطلاق. وتبحث عن زوج جرمانى تنجب منه أولاداً جرمانيين، لكنها تقع، في خضم ترميم ذاتها وتشكيل معالم حريتها، فريسة للمنفى والعزلة والعلاقات السطحية العابرة.

وتعرض مسرحية "سماة أخرى"، للممثلة والمخرجة والكاتبة العراقية روناك شوقي، تجارب ثلاث نساء عراقيات مغتربات يختلن في الرؤية، على الرغم من حبهن للوطن. المرأة العاطفية المثقفة ذات النزعة الغربية التي تعيش انضماماً بين دعم الحرب والخوف من الاحتلال. وثمة زوجة المعارض السياسي التي تهرب مع زوجها إلى بلد آخر، والمشغولة بهم الأولاد وتربيتهم وتعليمهم شيئاً عن الوطن البعيد. والمرأة العجوز نوعاً ما والتي تجترح حزنها الخاص بها، وهي الوحيدة التي تقول إن لديها بيتاً في العراق تريد العودة إليه.

ويجري حوار هؤلاء النسوة على خلفية يوميات الحرب التي كانت تقف على أبواب العراق، وينمو الفعل الدرامي مع تقدّم الأحداث هناك، فهن متسرّعات أمام شاشة التلفزيون يبحثن عن خبر، تلفهن الحيرة، وينتابهن شعوران متناقضان نابعان من موقنين: جيش أجنبي يتقدم صوب الوطن لاحتلاله، ونظام يتمنن رحيله. وتتراوح قصصهن بين العام والخاص، بين الهجرة والوطن، فبسبب الغربة التي فرضت على شخصية المثقفة المحترزة، التي ابتعدت عن الوطن كثيراً لإكمال دراستها، تحن إليه دائماً. وتقص المرأة الثانية حكاية رجل زوجها الناشط السياسي، واكتشافها

الحياة متحرزة

اقتبست اللبنانية رندا الأسمر نص "ثلاث نسوان طوال" عن نص "ثلاث نساء طويلات" للكاتب الأميركي إدوارد ألبى، وعلى الرغم من ظهور ثلاث شخصيات نسائية على المسرح في أعمار مختلفة (واحدة في التسعين والثانية في الخمسين والثالثة في العشرين) تحاول كل منهن تحديد "أسعد لحظات حياتها"، فإنهن يملن تنويحات لشخصية واحدة هي شخصية المرأة التسعينية، حيث يجسّدن وجوها من محطات زمنية لرحلة حياتها تتوزع على ثلاث مراحل (الماضي، الحاضر والمستقبل).

ستة أعمال مسرحية عنيت بموضوع القهر الذي تعرّض له المرأة في المجتمعات العربية، أحداثها تدور حول ثلاث نساء

منذ اللحظات الأولى لتفتحها على الحياة وعلى جسدها، ومنذ الأفكار التي انهلّت عليها، وهومها وتطلعاتها، والقيم التي تربت عليها: الطفولة، الأسرة، المدرسة، المجتمع، الزواج والموت، لتكتشف عن مدى الأسنى الذي تحمله المرأة، خاصة حينما تعيش حياة منفقة. وتبدأ أحداث مسرحية "نساء في الحرب" للعراقي جواد الأسدي حول

«أرامل» وفاء طويبي.. بين مأساتين خاصة وجماعية



«نساء في الحرب» لجواد الأسدي.. نساء هاربات من جحيم الطغيان في العراق

كل واحدة منهن بإعادة جنمان زوجها أو أبيها أو أخيها، من الذين تم اعتقالهم بحجة أنهم متمرّدون خانوا بلادهم لأنهم اعترضوا على السلطة.

وتعيش كل واحدة من هؤلاء النسوة مأساتها الخاصة من جهة، والمأساة الجماعية لرفيقاتها الأخريات من جهة أخرى. ومع انتشار قصصهن في الإعلام بشكل واسع تأخذ الأحداث منعطفاً مغايراً، حين تعرّف المرأة البسيطة على ضابط يتقرّب إليها في خدعة ليُنهي اعتصامهن، وهي تعتقد بأنه يحبها وسيلبي طلباتها هي ورفيقتها بتسليمهن جثث أقربائهن، وحينما تكتشف النسوة خدعته يستأنفن اعتصامهن على نحو أقوى، لكن هذه المرة ليس بهدف الحصول على الجثامين أو إطلاق سراح رجالهن، بل حتى يُغادر المتسلطون البلاد، وتحرّر من جورهم، ويحظن هن بحريتهن.

ويظل الجأء يتلاعب بهؤلاء النساء، ثم يساومهن على حياة أجنهن مقابل الحرية، لكنهن يرفضن مساومته، في إشارة إلى التمسك بالأمل في الغد، وإنجاب أجيال جديدة قادرة على التغيير.

وتدور أحداث مسرحية "الأرامل" التي اقتبستها المخرجة التونسية وفاء طويبي عن مسرحية للكاتب التشيلي الأرجنتيني الأصل أربيل دورفمان تحمل العنوان ذاته، حول ثلاث نساء مناضلات، واحدة كبيرة في السن اعتقلت السلطة زوجها، والثانية امرأة بسيطة أمية اعتقل زوجها، والثالثة فتاة مثقفة أمية اعتقل والدها، يعتصم على شاطئ البحر في إحدى القرى التي مرّقنها الحرب، في دولة لم يتم تحديدها، لتطالب

مذعورة. كذلك هناك فيلم "الباحثات عن الحرية" لإيناس الدغدي، الذي يدور حول ثلاث نساء عربيات مغتربات في باريس: الأولى صحافية لبنانية تعرّضت للاغتصاب خلال الحرب الأهلية، واختطف مسلحون خطيبها، فهربت إلى باريس كي تخرج من كوابيسها، والثانية فتاة تشكيلية مصرية عانت من وصاية زوجها، وتجاهله لمهبتها، فتحصل على منحة للدراسات العليا في فرنسا، وتنفصل عنه. والثالثة فتاة مغربية تهوى الغناء، وتهرب من قمع أهلها إلى باريس إثر اكتشافهم حبها لجارها، وتبدأ هناك حياة جديدة.

إن التصور الأخير الذي خلصت إليه من مراجعة تلك المسرحيات والأفلام، هو وجود نوع من التناس أو التعالق أو التشابه خلق إطاراً من التقابل والتشارك بين نصوصها، أو أحال بعضها على بعض بآلية ما من التقابل النصي. ولعل استقراء عميقاً وتفكيكاً لسُننها وسبر أغوارها يكشف عن مفصل هذه الآلية وإستراتيجيتها التأويلية، بما يُعزّز فرضية أن كل عمل إبداعي هو مزيج من تراكمات سابقة خضعت للانقضاء ثم التأليف، ذلك أن كل نص، حسب رولان

المخرجة اللبنانية رندا الأسمر اقتبست نص "ثلاث نسوان طوال" عن نص "ثلاث نساء طويلات" للكاتب الأميركي إدوارد ألبى

الممثلة والمخرجة والكاتبة العراقية روناك شوقي قدّمت في «سماة أخرى» ثلاث نساء مغتربات يختلن في الرؤية، على الرغم من حبهن للوطن

المسرحيات تحيلنا إلى أفلام سينمائية تدور حول ثلاث نساء، مثل فيلمي «الساعات» لتستيفن الدراي و«الباحثات عن الحرية» لإيناس الدغدي

جمال الوطن عندما غادرته في شاحنة إلى دولة عربية ومنها إلى بريطانيا، وهي خائفة وملتاعة على مصير أبنائها الذين يتحدّثون بلغة مختلفة، ولا يعرفون الوطن إلا بالاسم.

أما المرأة الثالثة فقد اضطرت إلى الهجرة خوفاً من اعتداء رجال النظام على شرف ابنتها الجميلة، وهو الخوف الذي منعه من إرسالها إلى المدرسة. وتحكي عن فوزها بين قبول أول خاطب لها يعيش في المنفى أو الدقاء في البيت، وحين ترافق ابنتها إلى الخارج تكتشف العالم الجديد البعيد عن العراق، وقسوة الغربة.

تجمع مسرحية روناك شوقي الثانية "على أبواب الجنة"، ثلاث نساء، أيضاً، في فضاء يوجي إلى محطة سسك حديد، حيث ينتظرن قدوم القطار ليقبلن إلى الوطن، الذي غادرته بسبب ما تعرّضن له من اضطهاد وقمع، وهرباً من جحيم الحرب إلى ملاذ آمن، وهن يتحرّقن إلى قدوم القطار، وخلال انتظارهن يروين معاناتهن في الوطن والغربة.

واحدة تتعجل العودة إلى أمها التي فارقتها منذ أكثر من عشرين عاماً، والثانية تريد زيارة قبر ولدها الذي قتل في الحرب، والثالثة تطلب إلى العودة، بعد أن تعرّبت طويلاً، وجابت المنافي وحيدة باوراق مزوّرة، لتكوين أسرة وتحقيق أحلامها البسيطة. وتقدّم مسرحية "نساء بلا ملامح" للعراقي عبدالأمير شمخي، ثلاث نساء حبالن داخل قيو، ومعهن جواد يعذبهن بالسوط، ويذيقهن القهر والذل

كذلك هناك فيلم "الباحثات عن الحرية" لإيناس الدغدي، الذي يدور حول ثلاث نساء عربيات مغتربات في باريس: الأولى صحافية لبنانية تعرّضت للاغتصاب خلال الحرب الأهلية، واختطف مسلحون خطيبها، فهربت إلى باريس كي تخرج من كوابيسها، والثانية فتاة تشكيلية مصرية عانت من وصاية زوجها، وتجاهله لمهبتها، فتحصل على منحة للدراسات العليا في فرنسا، وتنفصل عنه. والثالثة فتاة مغربية تهوى الغناء، وتهرب من قمع أهلها إلى باريس إثر اكتشافهم حبها لجارها، وتبدأ هناك حياة جديدة.

إن التصور الأخير الذي خلصت إليه من مراجعة تلك المسرحيات والأفلام، هو وجود نوع من التناس أو التعالق أو التشابه خلق إطاراً من التقابل والتشارك بين نصوصها، أو أحال بعضها على بعض بآلية ما من التقابل النصي. ولعل استقراء عميقاً وتفكيكاً لسُننها وسبر أغوارها يكشف عن مفصل هذه الآلية وإستراتيجيتها التأويلية، بما يُعزّز فرضية أن كل عمل إبداعي هو مزيج من تراكمات سابقة خضعت للانقضاء ثم التأليف، ذلك أن كل نص، حسب رولان



الممثلة والمخرجة والكاتبة العراقية روناك شوقي قدّمت في «سماة أخرى» ثلاث نساء مغتربات يختلن في الرؤية، على الرغم من حبهن للوطن



العراقي عبدالأمير شمخي قدّم في «نساء بلا ملامح» ثلاث نساء داخل قيو، يعذبهن جواد بالسوط، ويذيقهن القهر والذل عقاباً على حملهن



المخرجة اللبنانية رندا الأسمر اقتبست نص "ثلاث نسوان طوال" عن نص "ثلاث نساء طويلات" للكاتب الأميركي إدوارد ألبى